Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

An epistemic example in the relation between science and religion in Islamic Thought

Alireza Qa`eminiya

Associate Professor, Philosophical Research Institute, Iran

Ali Saheb Ubayd

Phd Candidate, Analytical Exegesis, Al-Mustafa International University, Iran

Nisrin Shaker al-Hakeem

PhD Candidate, Analytical Exegesis, Al-Mustafa International University, Iran.

E-mail: zahra599.569@gmail.com

Abstract

The topic of the relation between science and religion holds an important status in the field of the philosophy of religion. It defines the theological framework and thought in human life. Some contemporary theories have brought about certain doubts regarding the value of religion and how it can be relied on in revealing reality. A real question has been put forward regarding the nature of the relation between science and religion, whether it is agreeable or in conflict. Based on this, different groups have explained the nature of this relation and the epistemic foundation that governs it. It has a clear effect on the method of life, in culture, politics and society. The Islamic world was not far from these attractions, and gave a strong influence. The correct Islamic theory that does not see opposition with scientific findings and is in conformity. The paper follows a descriptive analytical method in explain the pillars of the relation between science and religion, and the theories in the West and the Islamic world, and explains the epistemic method in Islamic thought, that has stayed preserved in its position, being the basis that guides humankind and reality of humanity.

Keywords: epistemic method, Islamic thought, Western thought, relation between science and religion.

_____

Al-Daleel, 2022, Vol. 5, No. 2, PP.145-162
Received: 12/8/2022; Accepted: 3/9/2022
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

النموذج المعرفي لعلاقة العلم بالدين في الفكر الإسلامي

علي رضا قائمي نيا

أستاذ مساعد في معهد الأبحاث الفلسفية والحكمية، إيران

علي صاحب عبيد

طالب دكتوراه تفسير تطبيقي، جامعة المصطفى العالمية، إيران.

نسرين شاكر الحكيم

طالبة دكتوراه تفسير تطبيقي، جامعة المصطفى العالمية، إيران، البريد الإلكتروني: zahra599.569@gmail.com

الخلاصة

تحتلّ مسألة علاقة العلم بالدين موقعًا مهمًّا في أبحاث فلسفة الدين، والتي يتحدّد من خلالها الإطار العقدي والفكري للحياة الإنسانية. وقد أحدثت بعض النظريات الحديثة حالةً من التشكيك في قيمة المعطى الديني ومدى إمكانية الاعتماد عليه في كشف الواقع، وطرحت تساؤلًا حقيقيًّا في طبيعة علاقة العلم بالدين هل هي التوافق أم التعارض، وعلى إثر ذلك نشأت مذاهب مختلفة في بيان صورة تلك العلاقة والأسس المعرفية الحاكمة عليها، وكان لها تأثيرها الواضح على نواحي الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية. ولم يكن العالم الإسلامي بعيدًا عن تلك التجاذبات، فقد ألقت معطيات العلم الحديث بظلالها على الاعتقاد الديني وأحدثت صدامًا ظاهريًا اختلف في جوابه المفكّرون المسلمون؛ والنظرية الإسلامية الصحيحة هي التي لا تجد تعارضًا مع المعطيات العلمية الواقعية والتي تنسجم معها في أكثر الأحيان. اتّبع المقال أسلوب البحث الوصفي التحليلي في بيان أركان علاقة العلم بالدين، ونظرياته في الغرب وفي العالم الإسلامي، وبيان النموذج المعرفي في الفكر الإسلامي، الذي بقي محافظًا على موقفه من الاعتراف بأصالة القضيّة الدينية وكونها الأساس الذي يكفل الحياة الواقعية للبشر.

الكلمات المفتاحية: النموذج المعرفي، الفكر الإسلامي، الفكر الغربي، علاقة العلم بالدين.

مجلة الدليل، 2022، السنة الخامسة، العدد الثاني، صص. 146-162

استلام: 2022/8/12 ، القبول: 2022/9/3

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة

© المؤلف

المقدّمة

لا يرتاب أحدٌ في عصرنا الراهن في الأهمّيّة الكبيرة التي ينطوي عليها جناحا العلم والدين في ارتقاء البنية المعرفية للفكر الإسلامي، الأفراد عمومًا في تماسٍ مباشر من خلال أكثر فعالياتهم الحيوية مع هذين الركنين، لكنّ هذه المسألة وللأسف أضحت من الإشكاليات الشائكة بين المذاهب الفكرية المختلفة في الغرب نشأةً وفي الشرق امتدادًا، حيث باتت تمثّل وتعكس التوجهات الدينية ومدى شمولها لجوانب الحياة العامّة، أو لنقل إنّها تعبّر عن الإمكانية الذاتية للدين في تلبية حاجات البشر والتلاؤم معها. تعدّ مسألة علاقة العلم بالدين من أهمّ مسائل فلسفة الديني، والتي تعرضت للبحث والجدال على مّر العصور، لكنها صارت تبحث كمسألة مستقلة في القرن العشرين، بل يمكن عدّها مجالًا درسيًّا قائمًا بذاته.

عرض النموذج الغربي رؤًى مختلفةً لهذه المسألة كانت في صورة إشكالات جدّيّة وردود عليها، ولم تكن الساحة الإسلامية بعيدةً عن تلك المطارحات، فقد انبرى الفلاسفة والمتكلّمون للردّ على تلك الإشكالات وبيان المسألة بصورة منطقية مقبولة تنسجم والبنى الفكرية الإسلامية، «لكنّ الأمر الملحوظ فيها هو خلوّ تلك الأفكار من الجانب المبنائي المعرفي، فقد أوضح هؤلاء العلماء عدم تعارض العلم الحقيقي مع الدين، وهذا كلام صحيح، لكنّهم لم يبيّنوا ما هو مرادهم بالعلم الحقيقي، وهذا لا فائدة منه في مسألة التعارض، إضافةً الى أنّ هناك نظرياتٍ صحيحةً ظهرت في التاريخ وظاهرها التعارض مع النصوص الدينية، فهل تفهم النصوص الدينية بنحو آخر أو نقوم برفض تلك النظريات العلمية الصحيحة، فالمشكلة هي غياب الآلية المعرفية والمباني الفكرية التي يستند إليها هؤلاء في بيان تلك الآراء» [انظر: قائمی نیا، رابطه علم و دین در جهان اسلام، ص 30].

يهدف المقال إلى بيان النموذج المعرفي للعلاقة بين العلم والدين في الفكر الإسلامي، فموضوع البحث يزخر بمجموعة من الخصائص المتميّزة والمعاني العميقة التي ستظهر في طيّاته تباعًا.

التعريفات

أـ تعريف العلم

عَلِمْتُ الشيءَ أَعْلَمُهُ عِلْمًا: عرفته. وعَالَمْتُ الرجل فعَلَمْتُهُ أَعْلُمُهُ بالضمّ: غلبته بالعِلْمِ. وعَلَمْتُ شفَتَه أَعْلِمُهُ عَلْمًا، مثال كَسَرْتُهُ أَكْسِرُهُ كَسْرًا، إذا شقَقْتها. ورجلٌ عَلَّامَةٌ، أي عالِمٌ جِدًّا. والهاء للمبالغة، كأنّهم يريدون به داهيةً. واسْتَعْلَمَنِي الخبر فأَعْلَمْتُهُ إيّاه. [الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ج 5، ص 1990]

وجاء في المصباح المنير إنّ كلمة "العلم" (ع ل م): «هو الْيَقِينُ يُقَالُ (عَلِمَ ـ يَعْلَمُ) إذَا تَيَقَّنَ، وجَاءَ بِمَعْنَى الْمَعْرِفَةِ أَيْضًا، كَمَا جَاءَتْ بِمَعْنَاهُ ضُمِّنَ كُلُّ وَاحِدٍ مَعْنَى الْآخَرِ؛ لِاشْتِرَاكِهِمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مَسْبُوقًا بِالْجَهْلِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ وَإِنْ حَصَلَ عَنْ كَسْبٍ فَذلِكَ الْكَسْبُ مَسْبُوقٌ بِالْجَهْلِ» [الفيومي، المصباح المنير، ج 2، ص 427].

أمّا معناه الاصطلاحي:

فهو الاعتقاد الجزمي المطابق للواقع، أو هو صفة توجب تمييزًا لا يحتمل النقيض، أو هو حصول صورة الشيء في العقل. [المنّاوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص 245]

والمقصود من العلم في المقال هو المعرفة الحاصلة عن طريق التجربة الحسّيّة، «فهو العلم الذي يزوّدنا بمعرفة عن الكون والواقع من خلال التجربة الحسّيّة، فيكون موضوعه دراسة الظواهر المادّيّة والحسّيّة والذي يقابل مصطلح المعرفة (knowledge)» [مصباح يزدى، رابطه علم و دين، ص 61]. يعدّ العلم من الناحية الفلسفية ـ بمعنى "science" ـ في الأصل نشاطًا لحلّ مسألة ما (Problem solving activity).

[Larry, progress and its problems, p.11]

ولا يمكن اعتبار أيّ نوع من النشاط في حلّ المشاكل علمًا، فلا بدّ من إضافة قيدٍ مهمٍّ وهو أنّ هذا النشاط يأتي في إطار الوصول إلى الحقيقة، فالعالم يسعى للكشف عن الحقيقة.

كما تجدر الإشارة إلى أنّ العلم هنا بمعنى العلوم الحصولية التي استطاع الإنسان الحصول عليها من خلال التجربة.

ب ـ تعريف الدين

جاء في لسان العرب إنَّ «الدِّين: الْجَزَاءُ والمُكافأَة. ودِنْتُه بفعلِه دَيْنًا: جَزَيته، وَقِيلَ الدَّيْنُ الْمَصْدَرُ، والدِّين الِاسْمُ، قَالَ: دِينَ هَذَا القلبُ مِنْ نُعْمٍ ... بِسَقَامٍ لَيْسَ كالسُّقْمِ، ودَايَنه مُداينةً ودِيَانًا كَذَلِكَ أَيضًا. ويومُ الدِّينِ: يومُ الْجَزَاءِ. وَفِي الْمَثَلِ: كَمَا تَدِينُ تُدان أَي كَمَا تُجازي تُجازَى أَي تُجازَى بِفِعْلِكَ وَبِحَسْبِ مَا عَمِلْتَ، وَقِيلَ: كَمَا تَفْعَل يُفعَل بِكَ» [ابن منظور، لسان العرب، ج 13، ص 169]. وعرفّه الراغب الأصفهاني: «الدِين يقال للطاعة والجزاء، واستُعيرَ للشريعة. والدين كالملّة "اسم لما شرع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء، ليتوصلوا به إلى جوار الله"، ولكنّه يقال للطاعة والجزاء واستعير للشريعة، والدين كالملّة لكنّه يقال اعتبارًا بالطاعة والانقياد للشريعة» [الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 175].

أمّا الدين اصطلاحًا: «هو مجموعةٌ من العقائد والأخلاق والقوانين والأحكام الفقهية والقانونية التي صدرت ونشأت من الله ـ تعالى ـ لهداية البشر وسعادته، فالدين مجعولٌ من قِبل الله تعالى، وهو الذي شرّع

وقنّن هذه المجموعة» [جوادی آملی، منزلت عقل در هندسه معرفت دینی، ص 19]. فالدين عبارة عن المنظومة الاعتقادية التي تتمركز حول منشئ ومبدع الكون والإنسان، وينبثق عنها أعمال وأحاسيس تناسبها.

العلم والدين في فلسفة الغرب

يمثّل عصر النهضة في العالم الغربي انقلابًا عظيمًا على التقاليد والمعتقدات السائدة آنذاك، فقد أعرض الناس ورفضوا الانصياع الأعمى الذي كانوا يكنّوه للكنيسة، فنظريات من قبيل (مركزية الشمس ودوران الأرض، والنظرية الداروينية وتحوّل الأنواع، والنظرية الفرويدية التي ترى الحياة عبارةً عن قمع الغرائز الحياتية لدى الإنسان، والنظرية النسبية لأينشتاين والتي فسرت مفاهيم الفضاء والزمان والعلّة بوجوه أخرى، ومبادئ صنع الحاسوب والذكاء الاصطناعي، والاكتشافات الجينية والإمكانيات الهائلة في الـ DNA) جعلت فكرة كون الإنسان موجودًا مميّزًا محلّ شكٍّ وترديد [انظر: امیری، رویکردهای مختلف نسبت به رابطه علم و دین، ص 156]، كما أوجدت حالةً من الفزع والتشكيك في قيمة المعطى الديني ومدى إمكانية الاعتماد عليه في كشف الواقع.

إنّ المهمّة الكبيرة التي تتولّاها كلٌّ من القضيّة الدينية والقضيّة العلمية هو كشفها عن الواقع وإصابتها إيّاه، وهذا هو الذي يجعلها محلّ اطمئناننا، فلو تولّد لدينا إحساس بأنّ القضايا والمعطيات الدينية لا قابليّة فيها لإدراك الواقع وكشفه، فسنتراجع عن اعتبارها مصدرًا مهمًّا لتوليد المعرفة، ونقتصر في معارفنا على المعطى العلمي الذي يزوّدنا بهذا المقدار.

ففي القرن السابع عشر ظهرت نظريات فيزيائية لعلماء مثل كبرينك (Kabringe) وكوبلر (Cubler) وغاليلو (Galileo Galilei) ونيوتن (Isaac Newton) في علم الفيزياء وعلم النجوم خصوصًا، ومن جهة أخرى نظريات بيولوجية مثل نظرية دارون في التطوّر، أحدثت هذه النظريات تحدّيًا جدّيًا بالنسبة للكنيسة الحاكمة آنذاك، ولم يقتصر هذا التهديد عليهم، بل امتدّ ليشمل الفلاسفة أيضًا ويلقي بظلاله عليهم، وجعلهم يفكّرون في حلول موضوعية للخروج من مأزق التعارض هذا؛ لذا نجد ديكارت (René Descartes) الذي يعدّ مؤسس الفلسفة الحديثة ووالدها لا يعتقد بإحكام الفلسفة كما هو عليه في علم الرياضيات، وباعتقاده إذا تمّ بناء الفلسفة على أسس رياضية فإنّها ستتمتّع بقوّة وإحكام منقطع النظير، وبذلك يتمّ التعالق بين العلم والاعتقاد. [انظر: حسامی فر، مطهری و نسبت میان علم و دین، ص 26]. ففي الواقع نجد هوّةً عظيمةً قد حصلت بين المجالين، فالذي يأخذ بالمعطى الديني صار يتخوّف من المعطى العلمي والعكس صحيح، بحيث نجد أنّ «العوائل المسيحية تخرّج أبناءها من المدارس وتتقدّم بشكوى ضدّ المدرسة لكونها تمدّ الأطفال بأمور تخالف الفكر المسيحي، ويدرس الأطفال ضمن مدارس خاصّة بهم» [مایکل بترسون وآخرون، عقل و اعتقاد دینی، ص 70]. وهذا الأمر بدأ

يعكس مقدار البعد والمسافة الحاصلة بين الجانب العلمي والديني في الغرب، وعلى إثر ذلك نشأت مذاهب فكرية تحاكي الأصول والمعتقدات الفلسفية التي بدأت بالظهور في إطار تلك النزاعات، وسادت حالة من الإفراط والتفريط في كيفية التعامل مع تلك المعطيات إلى عصرنا الحاضر، ومن أهمّ النظريات الموجودة في الساحة الفلسفية[1] هي تلك التي ترى وجود تعارض بين العلم والدين، فهي لا ترى تلاقيًا بينهما، فالدين يجب أن يوضع جانبًا؛ فهو مجرّد أداة نفسية روحية لا علاقة لها بالعلم، أو إنّه مجموعة من القضايا الخالية من المعنى وهذا هو اعتقاد المادّيّة العلمية (Scientific Materialism) وكذلك الوجودية المنطقية التي ترى تحقّق صدق القضايا لا يكون إلّا من خلال التجربة، والقضايا الدينية لكونها ليست تجريبية فلا معنى لها. [انظر: الماسى و بهشتى، رابطه علم و دين، ص 204]، لكنّ الكنيسة لم تقف مكتوفة الأيدي فأعلن الاتّجاه النصّيّ المسيحي عن رأيه في أنّ القضايا الدينية هي الواقعية صرفًا، وأمّا القضايا العلمية فهي أدوات جيّدة نستفيد منها في حياتنا العملية، فالعلم وإن عارض الدين لكنّه ليس سببًا لإقصاء الدين وتقديم العلم؛ بل يبقى الدين على ظاهره والعلم وسيلةً مفيدةً لإدارة الحياة، كما روّج كهنة الكنيسة إلى التقليل من شأن الإثباتات العلمية، بل وعدم قيمتها أمثال بيير دويم (Pierre Duhem) وإرفين شرودنغر (Erwin Schrödinger).

يمكننا تقسيم الاتّجاهات في موضوع علاقة العلم والدين إلى ثلاثة اتّجاهات هي:

أوّلًا: تعارض العلم والدين

يستند هذا الاتّجاه على مجموعة من الأدلّة التي يمكن إجمالها في ثلاث فئات هي:

1ـ تقدّم العلم على الدين

بعد اتّساع نطاق القضايا العلمية وانتشارها ونفوذها في الساحة الفلسفية، بدأ العالم يشهد نظرياتٍ تنادي بفصل العلم عن الدين، بل وبأفضلية العلم، فالعلم هو الوحيد القادر على كشف الواقع وإيصال الإنسان إلى سعادته الحقيقية.

ويعتمد هذا الاتّجاه على أنّ الدين والعلم في حالة صراع وتضاد تام، ودليلها هو أمران أساسان: (محاكمة غاليلو في المحكمة المسيحية، والنظرية الداروينية) فالعلم يتعلّق بالعالم الطبيعي، في حين أنّ

1 لا يعتقد القارئ الكريم أنّ مسألة كون هذه النظريات ذات طابع فلسفي يقتضي انحصارها في جانب العقل والبحث العلمي؛ بل إنّ هذه النظريات هي القواعد الفكرية للنظام الغربي الحاكم وهي التي تحدّد سياساته وتفكيره.

الدين يهتمّ بكلّ ما وراء الطبيعة، ولا تهتمّ الدراسات العلمية بالكيانات الخارقة للطبيعة مثل الله أو الملائكة، أو القوى غير طبيعية (مثل المعجزات). فعلى سبيل المثال، يشرح علماء الأعصاب عادةً أفكارنا من منظور حالات الدماغ، وليس بالإشارة إلى الروح غير المادية، وهناك نظريتان مهمّتان في هذا المجال هما: المادّية العلمية (Scientific materialism) والإمبريالية العلمية (Scientific imperialism)، الأولى استبدلت الطبيعة مكان الإله (نظرية الإلحاد وإنكار وجود الخالق)، والوجود المقدس عندها هو الطبيعة، فهي تحترمه وتقدّسه وتقول بوجود الكون عن طريق الصدفة، وهناك فلاسفة مثّلوا هذا الاتّجاه أمثال: فرانسس كريك (Francis Crick) وجاك مونو (Jacques Monod) وستيفن واينبرغ (Steven Weinberg).

أمّا النظرية الثانية فهي لم تنكر وجود الخالق وتقول بالإلحاد، بل حصرت طريق معرفة الله عن طريق الحسّ والتجربة، وأنكرت ما سوى ذلك، فلا يمكن إثبات وجود الله عن طريق الوحي الديني؛ بل عن طريق التحقيق العلمي. فيقول بول دافيس (Paul Davies) في كتابه "الله والفيزياء الجديدة" إنّ العلم قد تطوّر لحدٍّ يمكنه إجابة الأسئلة التي تتعلّق بوجود الخالق. ويقول الفيزيائي فرانك تيبلر (Frank Tipler) أنّه يستطيع من خلال نظرية الكمّ إثبات وجود المعاد وبصورة أفضل ممّا تطرحها التعاليم المسيحية. [انظر: بول دايفيز، الله والفيزياء الحديثة، ص 124]

هذه النظريات حصرت مجال المعرفة بالحسّ والتجربة سواء أنّها آمنت بوجود خالق ودين أو أنها أنكرت ذلك طريقيًّا أو موضوعيًّا. كما لا ينبغي إغفال ما أحدثه المدّ الوجودي «الذي رأى ما سوى الوجود الإنساني فاقدًا للهوية والعلم، ويراه مستقلًّا قادرًا بمفرده على اتّخاذ القرار وتحديد المصير، فلا توجد قوانين كلّيّة انتزاعية يمكنها إدارة حياته، بل علينا أن لا نسمح لما هو خارج عن ذواتنا أن يقرّر لنا ما نفعل، فنحن مخلوقات واعية متفرّدة وخالقة» [انظر: بروبر، علم و دين، ص 148 و 149]، وبهذا انفصل الإنسان الواعي المقتدر عن خطّ الرسالة ووحي السماء.

2ـ أولوية النصّ الديني (الوحي)

اتّضح آنفًا أنّ كهنة الكنيسة والباباوات لم يقفوا متفرّجين إزاء استيلاء المدّ العلمي والفتوحات البحثية على الحياة البشرية، فقد أظهروا ردود فعل وقاموا بتقديم إجابات ردًّا عن الموضوع ودفعًا للإشكالات، تمثّلت في التقليل من المعطى العلمي والتشكيك في إمكانية إصابته الواقع.

وهربًا من التصادم المُرّ بين الإثباتات العلمية المتلاحقة ونصوص الكتاب المقدّس، قاموا في خطوة

متقدّمة بالقول باستعارية النصوص الدينية، فالكتاب المقدّس لا صلة له بقضيّة نشأة السماء والأرض، وشكل الأرض، فهو جاء لإصلاح الإنسان وتربيته، فقالوا إنّ هذه الأمور هي أمور ذكرت على وجه الاستعارة لتبيين حقائق تخصّ الإنسان. [انظر: راسل، فيزيک، فلسفه و الهيات، ص 59]

كمّا أنّ مجموعةً من المتخصّصين بالفكر المسيحي ذات الاتّجاه الأخلاقي انتهبوا للفراغ المعنوي الذي أحدثته المادّيّة بصولاتها وانتصاراتها في الساحة، وقالوا إنّنا يجب أن نفرّق بين المعطى والتجربة العلمية وبين الحاجة البشرية للمعنوية والاتّصال بالخالق، وهذا يعكس البعد القيمي لدى الإنسان، والذي لا يمكننا إغفاله وإن أغفلناه فإنّنا سنواجه مصاعب ومصائب لا يمكننا حلّها إلّا بالرجوع للدين والمعطى الديني. [انظر: بروبر، علم و دين، ص 34 و 35]

إنّ تجاوب رجالات الكنيسة مع القضيّة التي مثّلت تحدّيًا وتهديدًا قويًّا ألقى بظلاله على الوجود الكنسي وحدّ من تأثيره اجتماعيًّا، فكان الردّ في أوّله في التشكيك في مدى صحّة المعطى العلمي ومصداقيته، ثمّ الرجوع لنفس النصوص الدينية ومحاولة التعامل معها بصورة استعارية لجعلها أقلّ تعارضًا وتصادمًا مع العلم وقضاياه، وأخيرًا التنبّه لمسألة الفراغ الروحي والمعنوي الذي أحدثه التوجّه العلمي الصارخ في المجتمع.

ويمكننا اعتبار هذا العرض للأحداث حسب التطوّر التاريخي لها بصورة عامّة، أمّا الآن فقد اختلف عمّا كان عليه، فقد فشلت تلك الأنظمة المادّيّة التجريبية في توفير ما تعهّدت تقديمه للإنسان من الحياة الهانئة الخالية من الاضطراب والمليئة بالسلم والاطمئنان النفسي، فنجد في دراسة قام بها الباحث جيري كوين (Jerry Coyne) سنة 2012 أنّ الشعب الأمريكي يعتبر من أكثر الشعوب إبداءً للرفض ومقاومةً لنظرية التطوّر الداروينية كما أفاد استطلاع حديث لمؤسسة غالوب في سنة 2011، على سبيل المثال هذه النتائج: 40٪ من الأمريكيين رأوا أنّ البشر قد خلقهم الله بشكل مباشر في شكلهم الحالي خلال آخر 10 آلاف عام أو نحو ذلك (أي خلق الإنسان في الأرض)، 38٪ رأوا أنّها تطوّرت من أشكال الحياة الأقل تقدّمًا على مدى ملايين السنين، ولكن من خلال عملية يكون الله مسؤولًا عنها (التطوّر الإلهي)، بينما وافق 16٪ فقط على أنّ البشر تطوّروا من الأنواع السابقة من خلال عملية غير موجّهة بالله (التطوّر الإلحادي الدارويني)، ثمّ يعرض الكاتب وجهة نظره قائلًا: أرى أنّ الدين والعلم غير متوافقين من عدّة جوانب، طريقة العلم في اكتشاف الحقيقة التي تعتمد على العقل الأداتي والتحقيق التجريبي والنقد والشكّ والقوّة التنبّؤية وتكرار الملاحظات من قبل محقّقين مختلفين، لا تتوافق مع أساليب الدين لفهم الكون (الأساليب القائمة على العقيدة والسلطة والوحي)، كما أنّ الحقيقة العلمية تتغيّر استجابةً للنتائج الجديدة حول العالم، في حين أنّ "الحقيقة الدينية" نادرًا ما تتغيّر.

]257Science, Religion and Society: The Problem of Evolution in America, P ، [Coyne

كذلك أتاح الفصل بين الدين والعلم والتوجه للمعطى العلمي بوصفه هو سبيل النجاة والكفيل بتوفير الحياة الناعمة للإنسان إلى نشوب واشتداد الاضطرابات النفسية والقلق الروحي، الذي لا يجد له الباحثون أمثال بريان والش (Bryan Walsh) سوى الارتماء في أحضان المعنوية والالتزام الديني ويعبّر قائلًا: «وجدت دراسة تلو الأخرى أنّ المتدينين يميلون إلى أن يكونوا أقلّ اكتئابًا قلقًا من غيرهم، وأكثر قدرةً على التعامل مع تقلّبات الحياة من غير المؤمنين. وجد استطلاع أجراه باحثون في كلّيّة لندن للاقتصاد والمركز الطبّيّ بجامعة إيراسموس في هولندا عام 2015 أنّ المشاركة في منظّمة دينية كانت النشاط الاجتماعي الوحيد المرتبط بالسعادة المستمرّة حتّى أكثر من التطوّع في مؤسّسة خيرية أو تلقّي دورات تعليمية أو المشاركة في منظمة سياسية أو مجتمعية» [Walsh, Does Spirituality Make You Happy]. إنّ قضيّة ارتباط العلم بالدين لم تبقَ على روالها السابق، فظهور هذه الأحداث جعلها تدخل حياة الأفراد بصورة مباشرة، ويقرّروا ارتباطهم وحاجتهم إليها وتصميمهم اتّجاهها نفيًا أو إثباتًا.

3ـ نظريات التحليل اللغوي

توجد نظريات في باب التحليل اللغوي عند الفلاسفة الأمريكان والإنجليز تقوم على الفصل بين المعطى العلمي والنصّ الديني، تمتدّ هذه النظريات في أصلها لترتبط بنظرية الوضعية المنطقية (Logical Positivism)، التي أنكرت مفهوم العلّيّة ورأت ما ندعوه بالعلّيّة ليس سوى حالة من التداعي الذهني بين المعطيات الحسّيّة الواردة للذهن، فنحن لأجل حالة الاقتصاد الفكري والذهني نعمل على ترتيب تلك المعلومات الحسّيّة ضمن مجموعات مترابطة، وواقعًا لا يوجد شيء باسم العلية. كما تأثّرت هذه النظريات بمباحث الفيزياء (النظرية النسبية) والتركيب المنطقي للّغة والذي لا يرى تحقّق المعنى سوى في القضايا التجريبية، أمّا القضايا العلمية فهي أمور فاقدة للمعنى وتستعمل في بيان الجانب الإحساسي فقط. تقول هذه النظريات بالتحليل البشري للّغة وفقًا للواقع المعاش والفائدة المترتّبة على ذلك، فلا يعود للقضايا الدينية والنصّ الديني من أثر في حياة الإنسان وإدارتها [انظر: بروبر، علم و دين، ص 151 ـ 153]

ثانيًا: توازي العلم والدين

يقصد بالتوازي (Parallel) أن يكون لكلا المجالين في عين استقلالهما الموضوعي تشابهًا مهمًّا من جهة البنية والهيكلية (Structure)، أصحاب هذا النظر خلافًا للاتّجاه الثالث ليسوا بصدد الاستفادة من الاكتشافات العلمية لإثبات القضايا العلمية الاعتقادية، لكنّهم يعملون على عرض التشابه بين

حوزتي العلم والدين من خلال طرقهما البحثية، وبذلك يمكن للمتكلّمين أن يكونوا شركاء للعلماء في اكتشافاتهم التجريبية. أمّا أدلّة أصحاب هذا الاتّجاه فيمكننا إجمالها في أمرين اثنين: الأوّل هو النهج المتشابه بين العلم والدين، يعتقد المتكلّمون ذوو المنهج الليبرالي[1] بوجود مناهج كلامية تشابه المناهج البحثية العلمية وهي مفيدة وضرورية للبحث الديني، ويعتقدون بأنّ المباحث الدينية يجب أن تكون مبحوثةً بشكل تجربي عقلائي، وأن تكون دراساتنا مبحوثةً بشكل متكامل وجامع ومتناسب مع التجربة البشرية؛ حتى تكون ذات أثر عملي في حياتنا وقابلةً للاستفادة. والثاني هو فلسفة الصيرورة (Process Philosophy)، نشأت هذه الفلسفة نتيجة جهود عالم الرياضيات والفيلسوف الإنجليزي ألفريد نورث وايتهيد (Alfred North Whitehead) [انظر: المصدر السابق، ص 155 – 158]، وتتميّز فلسفة الصيرورة بمحاولة التوفيق بين البدهيات المتنوّعة الموجودة في التجربة الإنسانية (مثل الدينية والعلمية والجمالية) في مخطّط كلّي متماسك. فهي تسعى إلى العودة إلى الواقعية الكلاسيكية الجديدة التي تتجنّب الذاتية مع الاهتمام بالنتائج العلمية، وهذا ينتج تخمينًا ميتافيزيقيًّا صريحًا بأنّ العالم في مستواه الأساسي يتكوّن من أحداث مؤقّتة للتجربة بدلًا من موادّ مادّية دائمة. تتكهّن الفلسفة العملية بأنّ هذه الأحداث اللحظية، التي تسمى "المناسبات الفعلية" أو "الكيانات الفعلية"، هي في الأساس ذاتية التحديد، وتجريبية، ومتّصلة داخليًّا ببعضها، فهذا هو التواصل والانسجام الذي تنشده فلسفة الصيرورة ليؤهلها للاستفادة من معطيات الفيزياء وقوانينها العامّة في فهم التجربة العلمية والدينية.

ثالثًا: استفادة الدين من العلم.

الاتّجاه الثالث في علاقة العلم بالدين يرى أنّ الاستدلالات الكلامية يمكن استنباطها واستخراجها من العلم بصورة مباشرة وواضحة، بل حتّى وجود الله يمكن إثباته بواسطة الآثار الجانبية الطبيعية مثل برهان النظم والإتقان، أو نتيجة الاكتشافات العلمية الحديثة مثل التكامل وزيادة الطاقة الديناميكية، أو صفات الفيزياء الرياضية في القرن العشرين، يعتمد هذا الاتّجاه على معطيات العلم في إثبات وفهم القضايا الدينية. [انظر: بروبر، علم و دين، ص 163]

1 اتجاه ظهر في القرن العشرين يدعو للاستفادة من المناهج العلمية، ويدّعي مشابهتها للمناهج العقدية الكلامية.

العلم والدين في الفكر الإسلامي

لم تكن التجاذبات والتمزّقات ببعيدة عن ساحة الفكر الإسلامي الذي كانت تصل إليه أخبار العالم الغربي عن التطوّرات والقفزات العلمية للتجربة العلمية في الغرب، واكتساحها ساحة الاعتقاد الديني الكنسي، وحدّها لنفوذه وتقويض الساحة الإيمانية ونشر أفكار الإيمان بالطبيعة والتجربة، ونبذ ما هو ديني لأنّه خرافة وأسطورة لا تنتمي إلى الواقع. وجد المفكّرون والفلاسفة المسلمون زادًا فكريًّا لا يمكن اجتنابه، فهذه الاكتشافات العلمية أخذت بلباب المفكّرين وجذبتهم بسحرها من جهة، ومن جهة أخرى كان عليهم بيان موقفهم الصريح تجاه القضية وهو يمثل بحسب انتمائهم موقف الإسلام، فمسألة العلم والدين شهدت تعارضًا وخصومة بين الأطراف أدّت إلى اختلافات جوهرية بينهم، لم تقتصر على العالم الغربي، بل وصلت التحدّيات إلى ساحة القرآن الكريم، وكانت الدعوى بأنّ هناك تعارضًا بين المعطى العلمي وآيات القرآن الكريم، ممّا أدّى إلى أن يرفع مفكّرو الإسلام وفلاسفته شعارهم عاليًا بأنّ العلم الحقيقي لا يمكن أن يعارض الدين والقرآن ويكون ضدًّا له.

لكنّهم لم يبيّنوا ما هو العلم الحقيقي وما هي المباني التي يستندون إليها في شعارهم واعتقادهم، فالكثير من المفكّرين والفلاسفة المسلمين قد بيّنوا أنّ العلم الحقيقي لا يعارض الدين، وهذا الكلام على صحّته لا يغيّر شيئًا في المسألة، ولا ينفعنا في حلّ التعارض المفروض بين العلم والدين؛ لأنّنا نواجه السؤال المهمّ وهو ما هو العلم الحقيقي؟ وهل يوجد قوانين تحكم العالم عاريةٌ عن الخطإ؟ في الواقع هذه الأمور ليست محلّ كلامنا؛ لأنّنا بصدد الحديث عن مجموعة من النظريات العلمية الناجحة التي ظهرت عبر التاريخ وهي بظاهرها تخالف النصوص الدينية، هذه النظريات استطاعت حلّ الكثير من المشاكل العلمية كمّا أنّها تستطيع التنبّؤ، ولها القدرة على الحلّ والتعامل مع الكثير من الإشكالات، فما الذي يمكننا قوله عن تعارض هذه النظريات مع نصوصنا الدينية؟ فهل علينا فهم نصوصنا الدينية بنحو آخر أم نلقي بتلك النظريات ولا نقول بصحّتها، أم إنّ هناك طريقًا آخر لنا أن نسلكه ونسير فيه؟

فهذا العلم الذي حصل عليه البشر وكان سببًا في تطوّرهم ونجاحاتهم ألا يعتبر علمًا واقعيًّا (يكشف الواقع)؟ فإذا كان واقعيًّا فسيكون حقيقيًّا فكيف تعارض إذن مع النصوص الدينية التي قلنا بأنه لا يمكن للعلم الحقيقي معارضتها؟ واذا لم يكن واقعيًّا كيف كان بإمكانه حصد كلّ هذه الثمرات والنجاح والتطوّر للبشر واستطاع حلّ مشاكله وأعطاه قدرة التنبّؤ وأتاح له ذلك؟ فالنتيجة أنّ التعويل على قضيّة العلم الحقيقي في حلّ ذلك التعارض لا يجدي شيئًا ولا يحلّ المشكلة بنحو من الأنحاء، بل يعمل على إلغاء المسألة وتقويضها دون أن يعمل على إبرازها وبيان طريقة التعامل الصحيحة مع أركانها.

لذا سنتعرّف أوّلًا على آراء المفكّرين والفلاسفة المسلمين في مسألة تعارض العلم والدين، ثمّ نحاول

بيان المباني التي يمكن الاستناد إليها في بيان المسألة وتحديدها، ومن خلال ذلك يمكننا تصوير النموذج المعرفي الذي تتشكّل منه المسألة، فنحصل على أطراف القضيّة وارتباطها منطقيًّا والأسباب التي دفعتنا للقول والقبول بهذا النموذج المعرفي دون غيره.

يعرض رشيد رضا في تفسير المنار تصوّره للقضيّة بقوله في قضية تعارض وتضادّ العلم مع الدين والقرآن: «إنّ الطاعنين في الإسلام من الملاحدة ودعاة النصرانية يزعمون أنّ العلوم والفنون العصرية، من طبيعية وفلكية وتاريخية، قد نقضت بعض آيات القرآن في موضوعها، وأنّ التشريع العصري أقرب إلى مصالح البشر من تشريعه. قلت: إنّنا قد اطّلعنا على أقوالهم في ذلك فألفينا أنّ بعضها جاء من سوء فهمهم أو فهم بعض المفسّرين، ومن جمود الفقهاء المقلّدين، وبعضها من التحريف والتضليل، وقد رددنا نحن وغيرنا ما وقفنا عليه منها. وإنّما العبرة بالنقض الذي لا يمكن لأحد أن يماري فيه مراءً ظاهرًا مقبولًا، ولو وجد شيء من هذا في القرآن لاضطرب العالم له اضطرابًا عظيمًا» [رشيد رضا، تفسير المنار، ج 1، ص 172].

يصرّح رشيد رضا بأنّ هذه الأمور ناشئة من سوء الفهم أو الجمود الفكري للمقلّدين أو التحريف، لكنّه لم يبيّن الآلية المعرفية والفكرية التي يمكن الاستفادة منها لحلّ هذا التعارض، كما أنّه اعتبر المسألة تحتوي تأييدًا للإعجاز القرآني، فالقرآن الكريم أشار لمجموعة من الحقائق العلمية قبل اكتشافها من قبل العلم من قبيل الآية الشريفة ﴿**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ**﴾ [سورة الحجر: 22]، حيث تصف الرياح باللواقح التي تقوم بعملية التلقيح، وقد اكتشف العلماء هذه الحقيقة بعد عدّة قرون.

اتّجه بعض العلماء للقول باشتمال القرآن الكريم على كلّ العلوم البشرية، وإنّنا نستطيع استخراج كلّ العلوم الجديدة من خلال الآيات القرآنية، وعليه ستكون العلوم في حالة اتّفاق وانسجام تام وكامل مع القرآن الكريم، والقائلون بهذه النظرية يسعون لاستخراج كلّ المعلومات والنظريات العلمية الجديدة من القرآن الكريم، حتّى وصل الحال ببعضهم إلى التصريح بأنّ القرآن الكريم يشتمل على 61 آيةً في علم الرياضيات و64 آيةً في علم الفيزياء و5 آيات في الفيزياء النووية و63 آية حول النظرية النسبية و20 آية عن علم الجيولوجيا وغيرها. [العظم، نقد الفكر الديني، ص 35]

إنّ الكلام عن توافق بين بعض القضايا العلمية والآيات القرآنية لا يقتضي التطابق الكامل والمدّعى عليه بنظرية إمكانية استخراج كلّ العلوم من القرآن الكريم؛ لأنّه يجعلنا نواجه مشاكل حقيقية، منها أنّنا البشر لنا أن نحكم بالتوافق بين المعطى العلمي والآيات القرآنية أو عدمه من خلال ظاهرها، لكن ليس لنا القدرة على استخراج كلّ العلوم من النصوص الدينية، وحتّى لو قلنا بإمكان الأمر فإنّه أوّلًا غير مقدور لنا نحن البشر الخطّاؤون، وثانيًا القضيّة التي نتحدّث عنها هي وجود تعارض بين النظريات

العلمية وظاهر النصوص الدينية، فما الذي بإمكاننا عمله لحلّ هذا التعارض؟

أمّا العلاج الذي اقترحه المتنوّرون فهو التفريق بين بعدين من أبعاد الدين، هما البعد الزماني للدين والبعد الروحي الأزلي، وقالوا: إنّ القضايا والمسائل التي تحدّثت عن الطبيعة والتاريخ تدخل ضمن البعد الزماني للدين، والذي نوكله للعلم والقضايا العلمية فهي حاكمة عليه؛ لأنّها أمور متغيّرة بتغيّر الزمان، فيكون للزمان دخل فيها وحاكمية عليها، أمّا البعد الروحي الأزلي فلا علاقة له بالعلم، بل يتعلّق بالأمور الغيبية والإيمان والتجارب العرفانية.

ومؤيدو هذه النظرية يقولون إنّ العلم لا يتجاوز حدود الطبيعة، فهو محدود بها، فلا يمكننا بحثها في المسائل الدينية التي ترتبط بالبعد الإيماني، فالمعرفة الدينية تختلف من حيث النوع عن المعرفة العلمية؛ لذلك فإنّنا نرتكب خطأً عندما نقايس ونقارن بين الاثنين، وهذا يجرّنا للوقوع في تعارضات جدّيّة، فالمعرفة الدينية تنشأ من التجربة العرفانية، في حين أنّ المعرفة العلمية تنشأ من الحسّ والتجربة فهما متفاوتان مختلفان. [المصدر السابق، ص 47]

والحقّ أنّ هذا الحل ليس حلًّا مقنعًا، فنحن نرى مواضيع عن الطبيعة والتاريخ في النصوص الدينية، فهل هذه مواضيع باطلة وغير صحيحة، وإذا كانت غير صحيحة كيف تحدّث بها النبيّ ﷺ مثلًا؟ إنّ هذا التفكيك من شأنه أن يشكّك في صحّة النصوص الدينية، ويدفعنا إلى إحالة الأمر إلى المسائل العلمية للبتّ في تلك الموضوعات، فلا يمكننا اعتبار جوهر الدين منحصرًا في التجربة العرفانية فقط، فالظاهر أنّ أتباع هذه النظرية عندهم معلومات جيّدة عن النظريات العلمية، ولكنّهم لم يتعرّفوا على واقع الدين.

وقد حاول بعض المفكّرين حلّ التعارض من خلال اعتبار المسألة في بعض أنواعها من قبيل النظرية الداروينية مع إيجاد الخلق هي من تعارض الظنّي مع الأمر القطعي؛ فالآيات التي تحدّثت عن الخلق وأصل الخلقة هي آيات يقينية لا داعي فيها للسؤال والبحث، أمّا النظرية الداروينية فهي ظنّية احتمالية تحتمل الصدق والكذب، وعند تعارض أمور كهذه يلزم تقديم القطعي على الظنّي. الظاهر هنا أنّ هذا الاتّجاه حلّ المسألة بالاستفادة من النموذج الأصولي في حلّ التعارض القائم بين الروايات أو الآيات والروايات، والحال أنّ هذا الأمر غير صحيح وغير قابل للتعميم لمسألة تعارض العلم مع الدين، فالنظريات العلمية على الرغم من كونها ظنّيّةً إلّا أنّها حقّقت نجاحًا فكريًّا، واستطاعت حل الكثير من المعضلات الفكرية والعلمية القائمة وأعطتنا قدرة على التنبّؤ بكيفية حلّ المشاكل والتعامل معها، فلا يمكننا إهمالها بحجة كونها ظنية غير يقينية. [انظر: قائمی نیا، رابطه علم و دین در جهان اسلام، ص 43]

الحلّ الآخر الذي قدمّه الاتّجاه التنويري البنائي (Constructivist Enlightenment) في العالم الإسلامي

ويمكن تسميته بـ "القابلية التفسيرية المطلقة للنصوص الدينية"، وحسب هؤلاء المفكّرين تكون النصوص الدينية دائمًا قابلةً للتفسير، بمعنى أنّ النصوص الدينية مع مجيء العلوم الحديثة تتجدّد قابليّتها على التفسير، ويكون لها تفسير آخر، فالنصوص الدينية موجودات صامتة، ويتحقّق لها النطق حسب طرو المعارف الجديدة عليها، فتكون داعيًا لاستنطاقها، فمتى ما رأينا تعارضًا بين آية ونظرية علمية فعلينا تفسير الآية بما ينسجم والنظرية العلمية. [المصدر السابق، ص 47]

قلنا سابقًا إنّنا من أجل حلّ مسألة تعارض العلم مع الدين علينا الانتباه لطبيعة النظريات العلمية ومدى واقعيتها وكشفها عن الواقع من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى علينا أن نفهم أنّ لهذه النظريات علاقةً بالدين، فيجب أن يكون لدينا فهم صحيح عن الدين، ومبانيه وتعاليمه؛ وعلى هذا الأساس لا يكون حلّ تامًّا من دون مراعاة هاتين الجهتين، فنظرية الاتجاه التنويري البنائي تنظر للدين من جهة غير واقعية، ومن جهة أخرى ليس لديه تصوّر واضح ودقيق عن النظريات العلمية، فقد قبل هذا الاتجاه النظريات العلمية وكأنّها أمر واقعي، بل كاشف ومعرّف حقيقي للواقع، ولكنّ أتباعه لم يبيّنوا لنا المراد من الواقع المقصود، الذي على أساسه أقاموا أركان نظريتهم.

كما ينجم عن تبنّي هذا الاتّجاه إقصاء الآيات القرآنية، وتكون بذلك الآيات القرآنية غير قابلة للتفسير، وعند تعارضها مع النظريات العلمية فإنّنا نضعها جانبًا، ونجعل القبول مقتصرًا على النظريات العلمية؛ وعلى هذا تصبح النظرية التي تقول بقابلية تفسير النصوص الدينية غير صحيحة وساقطة عن الاعتبار، وتبقى النظريات العلمية هي التي لها قابلية الكشف عن الواقع بشكل صحيح.

إنّ أصحاب هذه النظرية يرون النصوص الدينية صامتةً جامدةً لا تتعارض مع النظريات العلمية، بل تفسيرها السابق يتعارض معها، ومع تفسيرها الآن بنحو يتّسق مع النظريات العلمية لا يبقى مجال للتعارض، فالكتاب المقدّس لم يكن معارضًا لنظرية غاليلو، بل تفسير الكهنة وفهمهم له لم يكن صحيحًا، ومع عرض التفسير الصحيح لا يبقى مجال للتعارض بينهما. إنّ صمت النصوص الدينية ليس بمعنى أنّنا لا يمكننا استنباط أيّ نظرية من هذه النصوص، كما لا يمكننا البتّ بالقول بأنّ هذه النظرية منسجمة مع النصوص الدينية أو لا، لكنّنا نستطيع الاستفادة من قابلية النصوص للتفسير في استفادة المعنى المطلوب والمتلائم مع النظريات العلمية.

ولا تتوافق هذه النظرية مع السير والتطوّر التاريخي، فبعض النظريات العلمية كانت سببًا في حدوث مشاكل، ولم تتّفق قطّ مع النصوص الدينية، كما أنّ بعض النظريات كانت أكثر انسجامًا مع النصوص الدينية من غيرها، فترجيح إحدى النظريات في محكمة النصوص الدينية ليس لأنّ النصوص الدينية صامتة؛ بل لأنّ المعرفة الدينية كانت واقعيةً دائمًا، وفهم علماء الدين وتفاسيرهم كان مبنيًا على

تحقّق وجود مستقلٍّ وواقعي للقضايا الدينية، وأمّا التفاسير والمعرفة الحاصلة لدى علماء الدين فهي وصف لذلك الواقع، فالقياس والحكم الذي يصدره علماء الدين ناشئ عن واقعية النصوص الدينية.

المباني المعرفية لعلاقة العلم بالدين

إنّ حلّ مسألة التعارض بين العلم والدين يحتاج إلى إدراك معرفي وقدرة على فهم المسائل والنظريات العلمية وفهم تعاليم الدين بشكل صحيح، فالنظريات التي ذكرناها سابقًا عانت من عدم الإحاطة المعرفية الدقيقة، سواءٌ في مجال المعرفة الدينية أو النظريات العلمية، فالخلأ المعرفي بالمنظومة الدينية أو معطيات العلم التجريبي كان ظاهرًا وواضحًا؛ لذلك فإنّ نظرية "تعارض القطعي مع الظنّي" لم يكن أتباعها مدركين لمفهوم الظنّ في النظريات العلمية؛ وكأنّها اعتبرت وأخذت الظنّيّ بمعنًى غير صحيح، فإذا كان الظنّ باطلًا فكيف استطاعت هذه النظريات العلمية تقديم هذا التطوّر الهائل للبشرية، وأن يكون لها قدم راسخة في بناء تاريخها، فهل ينسجم هذا مع كونها كاذبةً وغير صحيحة؟!

كما أنّ نظرية "قابلية النصوص للتفسير مطلقًا" لم تكن ذات معرفة واضحة ومتقنة لا في الجانب الديني ولا في النظريات العلمية، فهي قامت على أساس النظرية البنائية، وليس لديها دفاع واقعي متين عن دعواها، وباعتقادهم فإنّ النظريات العلمية تامّة الصحّة وكلّ جزء من أجزاءها واقعي حقيقي، كما لا يمكننا التشكيك بها وعلينا الأخذ بها إجمالًا وتفصيلًا، وكلّ ما خالفها من النصوص الدينية علينا تأويله وتفسيره بما ينسجم معها.

لذا يمثّل العلم والدين بوابتين لكشف الواقع ومعرفته، وفي كثير من الحالات يشير كلاهما إلى حقيقة واحدة؛ إذ يمكن أن يشير الدين إلى صور مختلفة من الواقع، وكذلك العلم يمكن أن يشير إلى حقائق واقعية مختلفة المستويات، مع وجود اختلاف هو أنّ العلم يتحدّث عن مستويات مختلفة للواقع في جانب الطبيعة فقط، سواءٌ كانت مشاهدةً أو نظريةً، أمّا الدين فلا يقتصر كشفه للواقع عمّا هو في الطبيعة، بل يتّسع ليشمل مجالات ما وراء الطبيعة أيضًا، فالعلم بوّابة نحو الطبيعة أمّا الدين فهو بوّابة نحو الطبيعة وما وراءها[1]، وهاتان البوابتان تتّفقان في بعض الموارد، فاختلاف العلم والدين ليس في

1 إنّ قولنا "الدين بوّابة للطبيعة وما وراءها" ليس بمعنى اشتمال النصّ الديني على النظريات العلمية التخصصية التي كانت نتاج العقل الإنساني وعلى مدى حقب من الزمان، لكنّه يعني أنّه يشتمل على إشارات وبيان لحقائق طبيعية وهذا ما تكفّلت بيانه بشكل أكثر كتب الإعجاز العلمي القرآنية، إضافة لاحتوائه على بيانات ما ورائية وهي ما جاء لإثباتها

المجال المختص بكل واحد منهما؛ فهما قد يتفقان في بعض الموارد، ويختلفان في مواضع أخرى.

من ضمن موارد الاختلاف بينهما، هو في طريقة البحث والهدف المنشود، فللعلم هدف خاصّ كما إنّ للدين هدفًا خاصًّا به، هدف العلم معرفة قوانين الطبيعة وإيجاد الطريق نحو أسرارها، بينما هدف الدين هو السعادة النهائية للإنسان؛ لذلك عندما يتعرّض الدين للطبيعة فإنّه انظر إليها من جهة واسعة، فيلحظ علاقة الله بالإنسان والطبيعة، والعلم يبحث علاقة الإنسان بالطبيعة، العالم يريد كشف أسرار الطبيعة والسيطرة على طاقاتها الكامنة وتسخيرها لمصلحته.

ويمكن اعتبار نظرية الشيخ مطهري ـ بوصفه مفكّرًا إسلاميًّا – من النظريات التي وازنت بين الفكر الإسلامي باعتباره فكرًا أصيلًا وبين اقتضاءات الزمان ومتطلّبات العصر، فهو يطرح الموضوع على أساس كونه مشكلةً واقعيةً تواجه الفكر الديني، فما هي الحلول التي يقدّمها للمشاكل والتطوّرات الحاصلة في حياة الإنسان، ويقول: «ما موقف الإسلام بوصفه دينًا ونظامًا وقانونًا للحياة من متطلّبات العصر؟ هل يوجب الإسلام التصارع مع متطلّبات العصر ومحاربتها، ويحول دون تفجّر الطاقات البشرية المبدعة، ويعطّل الزمن عن التطوّر والتجديد؟ أو العكس هو الصحيح، وهو: أن يستسلم لتلك المتطلّبات ويذعن لها؟ أو أنّ هناك رأيًا ثالثًا له تفصيلاته الخاصة به؟ [مطهري، الإسلام ومتطلبات العصر، ص 21].

ويقول: «إنّنا لو سئلنا عن موقفنا من التطوّرات الحاصلة من الزمن هل نسايرها أو نعارضها؟ وجوابنا هو: لا نسايرها تمام المسايرة ولا نعارضها كذلك؛ والسبب هو أنّ الزمن صنيع الانسان، وبما أنّ الانسان يستطيع أن يكيّف زمانه نحو الأحسن كما يستطيع تغييره نحو الأسوإ، إذن ينبغي مسايرة التطوّرات الحاصلة في الجهة الأفضل، وعدم مسايرة الأسوإ، بل الافضل معارضة التطوّرات الحاصلة في الجهة الأسوإ» [المصدر السابق، ص 26].

فهو يتحدّث عن عدم المعارضة بين العلم والدين ويراهما ركنين للحياة الإنسانية، وأنّ التعارض الحاصل في عالم المسيحية نتيجة التحريف الذي أصاب كتابهم المقدّس. أمّا بالنسبة لعالمنا الإسلامي فينبغي أن يكون العلم والدين متعاضدين، فالعلم بدون دين والدين بدون علم يمثّلان مشاكل حقيقيةً للحياة البشرية. [انظر: حسامی فر، مطهری و نسبت میان علم و دین، 32 و33]

والتعريف بها.

الخاتمة

تعرّض البحث لبيان مسألة علاقة العلم بالدين، التي تعدّ أحد العناوين المهمّة في مباحث فلسفة الدين. نشأت هذه المسألة مع ظهور الاكتشافات العلمية وتعارضها مع الكتاب المقدّس في الديانة المسيحية، ومن ذلك الحين تكوّنت نظريات على أساس قبولها أو رفضها ذلك التعارض والآلية المعرفية التي طرحتها كعلاج لتلك المشاكل. فنظريات من قبيل مركزية الشمس ودوران الأرض، والنظرية الفرويدية التي ترى الحياة عبارةً عن قمع الغرائز الحياتية لدى الإنسان، والنظرية النسبية لأينشتاين التي فسرت مفاهيم الفضاء والزمان والعلّة وغيرها جعلت فكرة كون الإنسان موجودًا مميّزًا محلّ شكٍّ وترديد، وأوجدت حالةً من الفزع والتشكيك في قيمة المعطى الديني ومدى إمكانية الاعتماد عليه في كشف الواقع. فكان التعامل متفاوتًا بين مذاهب دعت لتقدّم العلم على الدين، وأنّ المعطى العلمي هو الجدير بالاعتماد، إذ له قابلية الكشف عن الواقع وإصابته، وأمّا الاتّجاه الديني فقد بقي محافظًا على موقفه من الاعتراف بالقضيّة الدينية، وأنّها هي من تكفل الحياة الواقعية للبشر، وبين من قال بالتوازي بينهما مع حفظ مقام كلٍّ منهما على حدة، وهناك من وظّف معطيات الأوّل في إثبات قضايا الثاني.

ولم يكن العالم الإسلامي بعيدًا عن مطارحات العلم والدين، بل سرت إلى ثنايا الاعتقاد الديني، وأوجدت اختلالًا فكريًّا ومعرفيًا أوجب بيان حقيقة المسألة بشكل علمي، وقد كانت النظريات المطروحة تميل بين إفراط وتفريط، والسبب في ذلك أنّها كانت تفتقد الأرضية المعرفية التي تستند إليها، فلزم بيان الأسس المعرفية التي يرتكز إليها النصّ الديني في رؤيته وتعامله مع الحقائق والاكتشافات العلمية.

قائمة المصادر

امیری، علی نقی، رویکردهای مختلف نسبت به رابطه علم و دین، پژوهش های دینی، سال دوم، شماره 4، بهار 1385 ش.

بترسون، مایکل و همکاران، عقل و اعتقاد دینی، طرح نو، تهران، 1384 ش.

بروبر، ایان، علم و دین، ترجمه بهاءالدین خرمشاهی، مرکز نشر دانشگاهی، تهران، 1362 هـ.

بول دايفيز، الله والفيزياء الحديثة، ترجمة هالة العوري، صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، 2013 م.

جان هات، علم و دین.. از تعارض تا گفتوگو، کتـاب طـه، قـم، 1382 ش.

جوادی آملی، عبدالله، منزلت عقل در هندسه معرفت دینی، انتشارات اسراء، قم، 1395 ش.

حسامی فر، عبدالرزاق، مطهری و نسبت میان علم و دین، پژوهش های علم و دین، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، سال 4، شماره دوم، 1392 ش.

راسل، رابرت و دیگران، فلسفه فیزیک و الهیـات، سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ و انديشه اسلامي، تهـران، 1984 م.

الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، دفتر نشر الكتاب، 1404 هـ.

العظم، صادق، نقد الفكر الديني، دار الطبعة، بيروت، 1977 م.

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

قائمی نیا، علیرضا، رابطه علم و دین در جهان اسلام، نشریه ذهن، شماره 21 و22، 1384 ش.

الماسی، علی و احمد بهشتی، رابطه علم و دین، قبسات، سال 18، تابستان 1392 ش.

محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار تفسير القرآن الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990 م.

مصباح یزدی، محمدتقی، رابطه علم و دین، انتشارات مؤسسه آموزشی و پژوهشی امام خمینی، قم، 1392 ش.

مطهري، مرتضى، الإسلام ومتطلّبات العصر، دار الإرشاد، بيروت، 2012 م.

المناوي، عبد الرؤوف، التوقيف على مهمّات التعاريف، عالم الكتب، بيروت، 1410 هـ.

Refrence

Does Spirituality Make You Happy ،Bryan Walsh https://time.com/collection/guide-to-happiness/4856978/spirituality-religion-happiness/

SCIENCE, RELIGION, AND SOCIETY: THE PROBLEM OF EVOLUTION IN AMERICA Jerry A. Coyne. 2012 .EVOLUTION AUGUST.

Laundan, Larry (1977). Progress and its Problems, California, University of California press.